Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الالتصاق ببواعث استخدامها الأوّل، وتتحوّل إلى تقليد؛ وهذا يفسِّر بقاء استخدام السجع على مر العصور بالرغم من غياب الوسط والباعث الشفاهى الذى استدعى استخدامه. فحسب "إيخنباوم" فى "نظرية المنهج الشكلى": "يختفى الوسط (التاريخى) بينما تبقى الوظيفة الأدبية التى ولّدها لا بوصفها إحدى المخلفات وإنما بوصفها إجراء يحتفظ بكامل معناه خارج علاقته بهذا الوسط".(١)

إننا حتى الآن نتحدّث عن إحدى المهام الموكلة بالسجع، وهى المهمّة العامة الثابتة التى يؤديها متى حلّ فى نص ما. وقد أدرك القدماء تلك المهمّة العامة التى يضطلع بها السجع، حيث يقول الجاحظ: "قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافى وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد، لقلّ خلافى عليك، ولكنّى أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد، وبقلة التفلّت. وما تكلمت به العرب من جيد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره".(٢)

وكذلك ربط "ابن جنى" بين الأثر النفسى الناتج من التوظيف الجمالى للسجع وبين عمليات التلقى والحفظ، إذ يقول: "فلو لم يكن المثل مسجوعًا لم تأنس النفس إليه، ولا أنِقَت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجىء به من أجله".(٣) فإن بنية المثل -عنده كما يبدو- ذات أثر سيكولوجى؛ على معنى أن تركيبها المعتمد على التسجيع يؤثّر فى النفس، ثم ينعكس هذا الأثر على عمليتى الاستيعاب والاسترجاع، وغياب هذه البنية فى المثل يصدم انتظار القارئ، ليس ذلك فحسب، بل يُصعِّب عليه عملية الاسترجاع.

---

(١) النقد النصى، جيزيل فالانسى، ضمن مدخل إلى مناهج النقد الأدبى، ت. رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفى، عالم اللمعرفة، ع ٢٢١، مايو ١٩٩٧، ص ٢١٦.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، جـ١، ص ٢٧٥- ٢٧٦.

(٣) الخصائص، ابن جنى، ت محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، جـ١، ص٢١٦.